

أهل الكتاب في القرآن.. من تراث الإمام حسن البنا



الأحد 10 مايو 2020 12:35 م

أنزل كتاب الله تعالى هدىً للناس كافةً والبشرية جمعاء، فقد خاطب أتباع الديانات السماوية والأديان السائدة في العالم، ودعاهم إلى استخدام ما وهبهم الله تعالى من العقل السديد والرأي الصحيح وإلى التفكير في خلق السماوات والأرض.

وفي هذا المقال يستعرض الإمام الشهيد حسن البنا كيف خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب بأن الجميع أمة واحدة من نسل النبي الخليل إبراهيم - عليه السلام - وأن التعصب لنبي ليس من تعاليم الفلاح ولا الإسلام، وقد خاطبهم بلغة العقل والأنساب التي يعرفونها فقال في مقال بعنوان "سبيل القرآن إلى الوحدة الدينية": "قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ* فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* صِنْعَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِنْعَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ" البقرة: 136-138". "سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ" الشورى: 13". "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" النحل: 123".

وهكذا نرى القرآن الكريم يطلع على الإنسانية بهذا المبدأ الجديد والدعوة الجديدة، ويسلك إليها هذه السبل البديعة الفريدة في وقت كانت الدنيا فيه تشتعل بنيران الأحقاد الدينية، وتضطرم بسير الخصومات المذهبية؛ فأهل كل دين سماوي يخاصم بعضهم بعضًا، ويخاصمون غيرهم من أبناء الأديان والنحل الأخرى، وسائر الناس غير أهل الكتب السماوية يهيمون في أودية من الخرافة، ويتيهون في ببداء من الجهالة، ما بين عبادة أشخاص، إلى تقديس أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئًا.

وفي هذه المعتزك الروحي العجيب من الخصومة والجهالة يطلع القرآن على الناس بهذه الدعوة الجديدة؛ دعوة التآخي في الدين، والاجتماع على أصوله الحق، والإيمان به كوحدة ربانية، إن اختلفت فيها الفروع بحسب الأزمان والإعصار؛ فقد اتفقت فيها الأصول الخالدة الباقية؛ لأنها من الفطرة التي لا تقوم إنسانية الناس إلا عليها، ويسلك إلى تحقيق هذه الدعوة أقرب وأيسر وأسهل المسالك على هذا النحو الذي فصله القرآن وبينه.

يقرر أن التوحيد دين إبراهيم - عليه السلام - وشريعته، وإبراهيم جد موسى، وبه يتصل نسب عيسى - عليهما السلام - وإبراهيم مقدس معظم عند أتباع موسى وأتباع عيسى على السواء، وما جاء محمد صلى الله عليه وسلم إلا بهذا التوحيد نفسه؛ بالحنيفية السمحة دين إبراهيم وملته؛ فهو إذن لم يأت بجديد، ولم يرهق العقول ولا النفوس بأمر عويص، ولكنه إنما يدعو الكتابيين من قبله إلى ما به يؤمنون، وله يعظمون، يدعوهم إلى إبراهيم وملته، وهو في ذلك مثلهم، يؤمن بما يدعوهم إليه، ويحمل نفسه قبلهم على ما يحملهم عليه؛ فقيم الفرقة والخلاف؟ ولم الخصومة والنزاع؟

ومرد الأمر بعد ذلك كله إلى الله، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؛ فهذه واحدة. والثانية أن هذا القرآن الكريم فرض على المؤمنين به أن يؤمنوا بكل نبى سبق، ويصدقوا بكل كتاب نزل، ويحترموا كل أمة مؤمنة مضت، فإذا ذكروا موسى قالوا: "وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَاً" الأحزاب: 69، وإذا ذكروا عيسى قالوا: "وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" آل عمران: 45، وإذا ذكروا التوراة قالوا: "فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" المائدة: 44، وإذا ذكروا الإنجيل قالوا: "فِيهِ هُدًى وَنُورٌ" المائدة: 46، وإذا ذكروا الحواريين ذكروا بهم وصية ربهم إياهم "كُونُوا أَتَّصَارَ اللَّهُ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْثَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ" الصف: 14، وبذلك كسر حدة الخصومة، وعهد السبيل للتفاهم الحق الكريم.

الثالثة أنه لم يقف عند حدود هذا التمهيد العاطفي النظري؛ بل فتح باب التعاون العملي، والتواصل الفعلي، فقال لأتباعه والمؤمنين به: "طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ جَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ" المائدة: 5".

يجعل الأساس في هذا التعاون العدالة والإنصاف بل البر والإحسان، فقال: "لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة: 8".

بعد هذا كله أوصى وصية مشددة، وأمر أمرًا جازمًا أن يكون الجدل إذا وجد ما يدعو إليه بالتي هي أحسن، فقال في ذلك: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" العنكبوت: 46".

وإنك لترى خلال جدل القرآن ونقاشه أجمل معاني النزاهة في اللفظ والقصد والحرص على تحري الهداية إلى الحق بالحق، وإقرأ بربك هاتين الآيتين لترى أسلوبًا فريدًا من العرض السليم المحكم والجدل النزبه الملزم في سورة النساء "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وزوج منه فأمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكبلا" النساء: 171".

وفي سورة الشورى "فليدلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير" الشورى: 15".

ألا وإن الإنسانية اليوم وقد اكتوت بنار المادية الطاغية، وذاقت الأمرين من الإلحادية الكافرة والإباحية الفاجرة.. أحوج ما تكون إلى ظل ظليل من تعاليم السماء، يعيد إليها الطمأنينة والمسرة، ويقر على الأرض السلام، ويكون رحمة من الله للعالمين، ولن يكون ذلك حتى يخلص ورثة الأديان وحملة الكتب لهذه التعاليم الراقية التي ورثوها، وسيروا إذا أخلصوا أن الوجهة واحدة، والطريق معبدة، ورسالة الخير التي يعملون لها مشتركة

إنما يحجب الناس عن الحق فيها المطامع والغايات، والأهواء والشهوات، وسوء الفهم وقلة البصيرة من العلم، والقلوب بيد الله يقلبها كيف شاء "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين * وما كان لئنفس أن تؤمن إلا بإذن الله وتبعل الرجس على الذين لا يعقلون" يونس: 99-100".

فيا أيها الصائمون القائمون، إذا قعد غيركم من الناس عن أن يقوموا لهذه الرسالة بحقها؛ فكونوا أنتم لها أوفياء وعليها أمناء، واعملوا لها، واجهدوا في سبيلها، لا يضركم من ضل إذا هتدبتم، وكونوا في ذلك خير خلف لخير سلف "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" الأحزاب: 21"

<https://ikhwanonline.net/article/239778>